ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 8, No. 1 || January -June 2023|| P. 1-26
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2023ء)

جهود المحدِّثين في شرح جوامع الكلم
حديث «الدينُ النصيحةُ» أنموذجاً

EFFORTS OF HADITH SCHOLARS ON SINGLE HADITH COMMENTARY, EXAMPLE OF HADITH "RELIGION IS ADVICE"

محمد ذكوان إسماعيل أوغلو* ، أ. د. خليل إبراهيم قوتلاي*

ABSTRACT:

We see from the work of the hadith scholars (muhaddithun) that they gave much importance in explaining and comentating on singular hadiths. Rather, many hadith scholars continued to explain specific hadiths, particularly those considered to be of the comprehensive words of wisdom (jawami al-kalım) from the Prophet Allah bless him and grant him peace. This consistent commentary throughout the last 15 centuries allows us to continually benefit from his precious words, especially in new matters that arise and require new rulings and answers. In this article, I present a definition of the comprehensive words of wisdom (jawami al kalim), followed by a glimpse into the aims of the scholars who wrote commentaries on singular hadiths, and the rich Islamic heritage that produced works that have been a source of pride over the centuries. I then elaborated the efforts of hadith scholars in composing commentaries on the hadith "Actions are by their intentions," and the hadith of Umm Zar'. I thereafter return to the hadith, "the religion is sincere advice," mentioning its chain of transmission, its merits, and comparing two eminent works that commentate on it: Al-Nasiha Al-Kafiya by Sheikh

* Doktora Öğrencisi, Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi, Temel İslam Bilimleri, İstanbul ,Türkiye
Email, zekvanismail@gmail.com, ORCID: https://orcid.org/0009-0007-0598-8459

* Faculty member, Fatih Sultan Mehmet Vakif Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Hadis, İstanbul, Türkiye
Email: halilkutlay@hotmail.com,ORCID https://orcid.org/0000-0002-3318-2977

Ahmad Zarruq (d. 899 AH) and Rashhat Al-Nasih by Sheikh Al-Islam Muhammad Dabbagh Zadeh (d. 1114 AH). I strove to encompass many hadiths in my research; this offers tremendous benefit for future researchers hoping to benefit from these hadiths. I then engaged in some hadith criticism (naqd), analysis (tahlil), and comparison. By this, I concluded my work, showing that multiple commentaries on single hadith offers great benefit by exposing a diversity of talents and cultural differences. No book can truly replace another, as it is said, "How much did the early scholars leave for the later scholars?" Had the later scholars relied on the works of their predecessors and not contributed their own, much of the religious sciences would have been lost, and it would have been difficult for later scholars to grasp the true intent of the Qur'an and Sunnah. And truly Allah is behind one's striving, and He alone guides to the true path.

Keywords: *Textual commentaries, efforts of hadith scholars, single hadith, comprehensive words.*

الكلمات المفتاحية: شروح المتن، جهود المحدثين، الحديث الواحد، جوامع الكلم.

الملخص

ظهر من آثار المحدثين عبر العصور اهتمامٌ بشرح الحديث الواحد، وخاصة أحاديث جوامع الكلم، بل وتتابع كثيرون على شرح حديث بعينه، لا سيَّما ما عُدَّ منه من جوامع الكلم، لما في ذلك من تجديد للعهد بفوائده، وزيادة مسائل طارئة مما يندرج تحت مقاصده.

فقد عرضت في هذا المقال تعريفاً بجوامع الكلم، ثم لمحة حول أغراض المصنفين إذ تتابعوا على شرح المتن الواحد، وما حصل للتراث الإسلامي الزاخر من مصنفات كانت مفاخرَ عبر القرون، ثم أعود إلى حديث «الدين النصيحة»، فأذكر تخريجه، وفضله، وأعقد مقارنة بين تأليفين جليلين في

شرحه وبيان ما يستنبط منه، هما **النصيحة الكافية** للشيخ أحمد زروق المتوفى سنة (899هـ)، ورشحة النصيح لشيخ الإسلام محمد دباغ زاده المتوفى سنة (1114هـ).

واتبعت منهج الاستقراء الذي يفتح باباً عظيماً للباحثين الراغبين بإظهار هذا الجانب، وأتبعتُه بشيء من النقد والتحليل والمقارنة.

وخلصتُ إلى أن تعدد الشروح لمتن واحد فيه خير عظيم، يظهر تنوع الملَكات، وتفاوت الثقافات، فلا يغني كتاب عن كتاب، وكما قالوا: كم تركَ الأولُ للآخر، ولو ركن المتأخر إلى مؤلفات سلفه، ولم يُدلِ بدلوه، لضاع كثير من علوم الدين، ولعَسُرَ على المتأخرين دَرْكُ مقاصد نصوص الكتاب والسنة. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مقدمة:

الحمد لله تعالى حقَّ حمده، تفضَّل على العباد بإرسال الرسل المجتبَين هادين مبشرين ومنذرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيِّين، أنزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين، أفصح الألسن في البيان والتبيين، وآتى سيدنا النبيَّ محمداً عليه السلام من الفصاحة أعلاها، فخاطب الناس على قدر عقولهم وحاز من البلاغة أقصاها، فكان بيانه للقرآن وحياً غير متلوٍّ، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وتلقَّف صحابته الكرام عنه كلماته فحفظوها ووعَوها، ونقلوها للتابعين مع معانيها وأسباب ورودها، وهكذا اجتهد المحدثون جيلاً بعد جيل في نقل ما

أُثر عنه صلى الله عليه وسلم، فاجتمع للأمة ميراث عظيم، من أخذه وبلَّغه وعمل به فقد أخذ بحظ وافر.

هذا، ومن خلال هذا الموضوع رمتُ تسليط الضوء على عناية العلماء عبر العصور المتتالية بخدمة السنة المطهرة، لا سيما ما كان منها في قمة البلاغة والوجازة؛ لأنه مظنة لكثرة الفوائد، وسعة العوائد، فعمدت إلى حديث «الدين النصيحة»، وأردت إبراز عناية العلماء به، شرحـًا واستنباطـًا، واستقرَيت المؤلفات المفردة في خدمته.

أهمية الدراسة:

لما كانت جوامع الكلم ذات قيمة علمية وتاريخية تراثية، أردت إظهار جهود العلماء والمحدثين في ما يتناول شرح حديث واحد من جوامع الكلم، واخترت أنموذجـًا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النصيحةُ»، قلنا: لمَن؟ قال: «للهِ، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمين، وعامَّتِهم».

وظفرت بشرحين عظيمين لهذا الحديث، وعرضت ما يتميز به كل منهما من مطالب شرعية كلامية وفقهية، وأخرى اجتماعية، وثالثة سلطانية سياسية، وأنواعـًا من الأدب والتربية والسلوك، ومطالب مهمة حول بيت المال ونظام الحسبة، فكان الكتابان بكل هذه الميزات جديرين بالدراسة والمقارنة.

مشكلة البحث

قصدت تسليط الضوء على جهود العلماء عبر العصور وتوالي القرون في

خدمة الشريعة المطهرة، لا سيما في شرح جوامع الكلم بمصنفات مفردة، تتفاوت أقدارها بحسب الحديث والمصنف والحاجة.

وبهذا يثبت اضطلاع العلماء خلفاً بعد سلف بمهمة البيان، والتوسع في الاستنباط، من معين السنة المطهرة.

أحاول في هذا البحث الإجابة على الإشكالات التالية:

- ما حقيقة جوامع الكلم؟

- وما مدى الجهود المبذولة من العلماء والمحدثين سلفاً وخلفاً في شرحها والاستنباط منها؟

- ولماذا لا تنتهي فوائد النصوص الشريفة مهما استقى منها المجتهدون؟

- وما فائدة تعدد الشروح لمتن واحد عبر القرون؟

الدراسات السابقة ومقارنة بينها وبين هذه الدراسة

من خلال الاستقراء والتتبع رأيت أن الدراسات السابقة حول جوامع الكلم اشتغلت بتعريفها، وشروطها، والاستنباط منها، وبيان سعة معانيها، وبلاغتها.

من هذه الدراسات:

جوامع الكلم النبوي دراسة تأصيلية، د. عمر بن عبد الله المقبل، السعودية، الخبر، ط: 1، 2017م. تناول في هذه الدراسة أهمية جوامع الكلم، وبنيتها، ولم يتوسع في بيان جهود العلماء.

ونال كل حديث من جوامع الكلم حظاً وافراً من الكشف والبيان في شروح دواوين السنة المختصرة والمطولة، لكن الفوائد منثورة منتشرة، والغرض

البحث في المؤلفات المفردة لخدمة الحديث الواحد.

وأيضًا تتابع العلماء على جمع أربعين حديثًا غالبًا ما تكون قليلة المبنى جليلة المعنى، والمؤلفات في الأربعين كثيرة، وشروحها يعسر حصرها.

وإني في هذه الدراسة أردت إبراز جهود العلماء عمليًا بعد أن ثبت في كثير من الدراسات السابقة فضيلة جوامع الكلم وأهميتها نظريًا، لا سيما المصنفات في شرح حديث مفرد من جوامع الكلم.

المبحث الأول: في بيان جوامع الكلم ودراستها

المطلب الأول: تعريف جوامع الكلم

قال أبو سليمان الخطَّابي (المتوفى سنة 388هـ) في قوله عليه الصلاة والسلام: «بُعِثْتُ بجَوامعِ الكَلِمِ»[1]:

«معناه: إيجاز الكلام في إشباع للمعاني، يقول الكلمة القليلة الحروف، فتنتظم الكثير من المعنى، وتتضمن أنواعًا من الأحكام. وفيه الحضُّ على حسن التفهم، والحث على الاستنباط لاستخراج تلك المعاني، ونبش تلك الدفائن

1 رواه البخاري (البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ» 4/ 54 (2977)، ومسلم، (مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً 1/ 371 (523/ 6) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المودعة فيها»[2].

وقال ابن رجب الحنبلي (المتوفى سنة 795هـ):

«جوامع الكلم التي خُص بها النبي صلى الله عليه وسلم على نوعين:

أحدهما: ما هو في القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90]، قال الحسن البصري: "لم تترك هذه الآية خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا نهت عنه".

الثاني: ما هو في كلامه صلى الله عليه وسلم، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه»[3].

وقال زين الدين المناوي (المتوفى سنة 1031هـ) في فيض القدير: «أعطيت جوامع الكلم؛ أي: ملَكةً أقتدِرُ بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظمٍ لطيفٍ، لا تعقيدَ فيه يعثر الفكر في طلبه، ولا التواءَ يَحارُ الذهنُ في فهمه. وقيل: أراد القرآن. وقيل: أراد أن الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الأمور المتقدمة

2 الخطابي، حمد بن محمد، أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، (تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1409 هـ/ 1988 م)، 2/ 1422.

3 ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: 7، 1422هـ 2001م)، 1/ 55.

جُمِعت له في الأمر الواحد والأمرين»[4].

أقول: وعليه فيشترط في الحديث ليكون من جوامع الكلم أن يكون وجيز الألفاظ، واسع المعاني، بالغًا الحدَّ في الفصاحة، مستكملاً شرائط البلاغة.

وكلما زاد ضبط الحفاظ النقلة كان مرويُّهم أقربَ إلى البيان النبوي الصرف، دون تدخل الرواة بالرواية بالمعنى، لا سيما وقد نص العلماء على أن من شرط الرواية بالمعنى أن لا يكون الحديث من جوامع الكلم.

المطلب الثاني: أهمية التوسع في شرح جوامع الكلم

وجوامع الكلم كثيرة في السنة المطهرة، ولعل الحكمة في كثرتها التوسيع على الأمة في استنباط الأحكام، من خلال التأمل في معاني ودلالات الألفاظ النبوية قليلة المبنى، واسعة المعنى.

ويلحظ المعتني بهذا الشأن حكمة الله تعالى في أن بعض النصوص في الكتاب والسنة جاءت محكمة ظاهرة المعاني بحيث لا تحتمل التأويل والنسخ، وأكثر النصوص محتملة للتأويل، وربما تعارضت ظاهراً فيما يبدو لنا، فاحتيج إلى الجمع بين المتعارض، وطرأت مناهج مختلفة للمجتهدين صدر عنها أحكام كثيرة متباينة، كانت في مجملها رحمة للمكلفين، وأمارة تيسير في التكاليف الشرعية، تراعي اختلاف الأمم والشعوب في نواحي المعمورة، واختلاف

4 المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن علي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (دون تحقيق، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط: 1، 1356هـ)، 1/ 563.

أعرافهم.

المطلب الثالث: أسباب تعدد الشروح لمتن واحد[5]

يلاحظ المطلع على كتب الحديث عناية العلماء بشرح المتون، قرناً بعد قرن، يبغي كل منهم نيل شرف خدمة المتون الجليلة التي تلقتها الأمة بالقبول، وإن سأل سائل: ما الغاية من إعادة الشرح؟ ولم لا يكتفي المتأخر بالعكوف على مؤلفات سلفه، وتحفُّظها وتلقينها؟ فالجواب أننا نلمح في تعدد الشروح للمتن الواحد أغراضاً، منها:

* زيادة الفوائد: لما كان المصنفون متفاوتين في المكنة العلمية بحيث يتصور أن يزيد بعضهم على بعض، ومختلفين في الأزمنة والأمكنة بحيث تختلف الأعراف، ومتفاوتين أيضاً في محط الاهتمام في الشرح؛ فمن معتنٍ باللغة والبلاغة وفنونها، وآخر مكثر من استنباط الأحكام، وثالث مولع بالأدلة من الكتاب والسنة، ورابع فائق في علم الرجال ونقد الأسانيد، وهلم جراً، ظهر فائدة تعدد الشروح.

* إيضاح المشكل: فقد يأتي المتأخر بكشف معضلات لم تتضح لسلفه، وكم ترك الأول للآخر! وقد قيل:

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ

5 يمكن أن يُعمَّمَ المقصود بالمتن إلى ما يشمل حديثاً واحداً، أو جزءاً حديثياً، وحتى جامعاً للسنن، وكذلك الحال في المتون العلمية في شتى الفنون.

ولو ركن المتأخر لما جاءه عن السلف لما حصل لنا هذا التراث العلمي الزاخر، وتلك الموسوعات العظيمة التي تعد من مفاخر الدهر، ولنقص العلم حتى لا نكاد نستقري صُواه.

* الكلام في واقعات لم تكن زمن السلف: فالمسائل الطارئة تحتاج إلى كشف حكمها بناء على الموروث العظيم، فتستنبط أحكامها وفق قواعد تفسير النصوص، أو تقاس على أشباهها ونظائرها، وبهذا يتميز المتأخر عمَّن سبقه، إذ يناقش القضايا الطارئة، ويجتهد لمعرفة حكمها، ويورد الشبهات والطعون في الشريعة الغراء، ويبذل الجهود لدحضها.

* اختلاف المذهب: من أغراض المصنفين جمع الأدلة لتأييد المذهب المقلَّد، ومناقشة المخالف في الخلافيات وفق القواعد العلمية والمنطقية، وفي هذا ذخيرة عظيمة للمطالع تصقل معرفته، وتذكي همته.

* لا يمتنع بل إنه ليحسن إقامةُ أدلة كثيرة على مدلول واحد، فقد يزيد المتأخر في الأدلة على ما أورده سلفه، وفوق كل ذي علم عليم.

* قد يوجد في بعض الشروح نقولٌ عن كتب مفقودة ذات أهمية، فتورث الشرح أهمية، فمن ذلك ما نقل ابنُ مفلح (المتوفى سنة 763ه) في الآداب الشرعية عن الفنون لابن عقيل (المتوفى سنة769ه) ، وكذلك تاج الدين السبكي (المتوفى سنة 771ه) في الطبقات الكبرى حفظ لنا في ثنايا التراجم كتبًا ورسائل علمية برمَّتها.

المبحث الثاني: حديث «الدين النصيحة»

كثر اعتناء العلماء على تتابع الأجيال بشرح الأحاديث الوجيزة الألفاظ الكثيرة المعاني الملقبة بجوامع الكلم، فهي معين لا ينضب، يرِده الناس عبر العصور المتتالية، ولا يزالون يصدُرون عنه بفوائد جمة، وفرائد نفيسة، تزيد في رصيد خزينة العلوم الشرعية إلى قيام الساعة.

وفي الكلام حول هذا الحديث الشريف أتناول ثلاثة مطالب أعرض فيها تعريفاً بالحديث، وأذكر اثنين من العلماء ممَّن اعتنى بشرح الحديث في مؤلف مستقل، ثم أقارن بين الكتابين من حيث المضمون والمحتوى، والقيمة العلمية.

المطلب الأول: تخريج الحديث وفضله

حديث «الدين النصيحة» هو قوله صلى الله عليه وسلم: «الدينُ النصيحةُ»، قلنا: لمَن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

الحديث علَّقَه البخاريُّ، ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائيُّ من حديث تميمٍ الداريِّ رضي الله عنه[6].

6 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحةُ للهِ، ولرسولِه، ولأئمَّةِ المسلمين، وعامَّتِهم» 1/ 21معلقاً، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة 1/ 74 (55/ 95)، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة 4/ 286 (4944)، سنن النسائي، كتاب البيعة، النصيحة للإمام 7/ 156 (4197).

ورواه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[7].

ورواه الدارمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[8].

* ما قيل في فضل هذا الحديث:

روى الخطيب البغدادي (المتوفى سنة 463هـ) في الجامع لأخلاق الراوي قال: حدثني عبد العزيز بن علي الوراق لفظًا، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد قال: سمعت عبد الله بن أبي داود السِّجِسْتانيَّ يقول: سمعت أبي سليمانَ بنَ الأشعثِ يقول: الفقه يدور على خمسة أحاديث: «الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ»، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرَرَ، ولا ضِرارَ»، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنِّما لامرئٍ ما نوى»، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّما الدينُ النصيحةُ»، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما

7 سنن الترمذي، (الترمذي محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م) أبواب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة 3/ 388 (1926) وقال: هذا حديث حسن، سنن النسائي، كتاب البيعة، النصيحة للإمام 7/ 157 (4199).

8 سنن الدارمي، (الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، تحقيق: نبيل الغمري، دار البشائر، بيروت، ط: 1، 1434هـ – 2013م) كتاب الرقاق، باب الدين النصيحة 3/ 1812 (2796). وقال محققه: إسناده حسن.

نـهيتُكم عنه فاجتَنِبُوه، وما أمَرْتُكم به فأْتُوا منه ما استطَعتُم»[9].

أقول: وفي هذا الحديث ما لا يمكن ضبطه بالقانون الوضعي البشري؛ إذ هو يخاطب الوجدان الإنساني، والنياتِ الباطنة، وهذا حال الشرائع الإلهية الصادرة عن العليم الخبير، الذي يعلم السرَّ وأخفى، فيكون المكلف بين ترغيب وترهيب، مراقبـًا نفسه فلا يأخذ ما ليس من حقه، ويربأ بنفسه عن الظلم، أما القوانين الوضعية فلا تنظر إلا إلى الظاهر، ولذلك يكثر التحايل عليها، وينظر كل مخاطب بها إلى مصلحته الذاتية، وبذلك يكثر اللغط، ويفشو ضياع الحقوق.

ويشهد لذلك ما وقع لجرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه فيما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني أنَّ جريراً أمر مولاه أنْ يشتري له فرسـًا، فاشترى فرسـًا بثلاثمئة درهمٍ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثَّمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمئة درهمٍ، أتبيعه بأربعمئةٍ؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله! فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمئةٍ؟ ثم لم يزلْ يزيده مئةً فمئةً وصاحبه يرضى، وجرير يقول: فرسك خير، إلى أن بلغ به ثمانمئة درهمٍ، فاشتراه بـها، فقيل له في ذلك، فقال: بايعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

9 الخطيب البغدادي أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1982م)، 2/ 290.

على النُّصْح لكلِّ مسلمٍ[10].

المطلب الثاني: التعريف بشرحين جليلين لحديث «الدين النصيحة»

ظفرت بالاستقراء بشرحين للحديث، لعالمين جليلين؛ الشيخ أحمد زرُّوق المالكي، وشيخ الإسلام محمد بن محمود بن أحمد دباغ زاده، أترجم أولاً للمصنفين، ثم أعقد مقارنة بين الكتابين بعون الله تعالى.

أولاً: الشيخ أحمد زروق[11].

أحمد بن محمد بن عيسى الشِّهاب البُرْنُسي المغربي الفاسي المالكي، ويعرف بزَرُّوق، ولد سنة (846هـ)، ومات أبواه قبل تمام أسبوعه، فنشأ يتيماً، وحفظ القرآن، وارتحل إلى الديار المصرية، وحج وجاور بالمدينة.

10 الطبراني، المعجم الكبير (الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية)، 2/ 334 (2395).

11 ترجمته في: السخاوي، الضوء اللامع (السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ)، 1/ 222، و التكروري أحمد بابا بن أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية: الدكتور عبد الحميد الهَرَّامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط: 2، 2000م)، ص130 (ترجمة125)، ومخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية (محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424هـ – 2003م)، 1/ 386 (ترجمة 1014)، والزركلي، الأعلام (خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15، 2002 م)، 1/ 91.

فقد أقام بالقاهرة نحو سنة مديماً للاشتغال عند الجوجري (المتوفى سنة 889هـ) في العربية والأصول وغيرهما، وقرأ على السخاوي (المتوفى سنة 902هـ) بلوغ المرام وفي الاصطلاح، ولازمه في أشياء، ومن شيوخه الشيخ الإمام عبد الرحمن الثعالبي (المتوفى سنة 875هـ) المفسر الشهير، والإمام السنوسي (المتوفى سنة 895هـ) صاحب العقائد.

وأخذ عنه جماعة من الأئمة منهم محمد بن عبد الرحمن الحطاب (المتوفى سنة 954هـ)، والزين طاهر القُسَنْطِيني (المتوفى بعد سنة 940هـ)، وغيرهم.

والغالب عليه التصوف، وقد تجرَّد وساح، وصار له أتباع ومحبُّون.

تآليفه كثيرة يميل إلى الاختصار مع التحرير، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غزيرة، وتحقيقات مفيدة لا سيما في التصوف، فقد انفرد بمعرفته، وجودة التأليف فيه. توفي سنة (899هـ) في طرابلس الغرب.

له شرحان على رسالة القيرواني، وشرح مختصر خليل، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، ونيف وعشرون شرحًا على الحكم العطائية، وكتاب القواعد في التصوف، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، وهو محط النظر في هذا البحث.

ثانياً: شيخ الإسلام محمد بن محمود دباغ زاده

محمد بن محمود بن أحمد دباغ زاده الرومي الحنفي، فقيه مفسر.

ولد في إستانبول، ونشأ بها، وأخذ علومه من علماء عصره، وبعد إتمام دراسته في سنة (1067هـ) تقلد التدريس في المدارس العثمانية، ثم انتقل للعمل في

القضاء العثماني، فعُيِّن قاضياً في الشام سنة (1077هـ)، ثم في قضاء أدرنه سنة (1081هـ)، وفي سنة (1085هـ) أصبح محمد أفندي قاضياً في إستانبول.

تولى محمد دباغ زاده أفندي منصب شيخ الإسلام ومفتي الدولة العثمانية سنة (1098هـ)، في عهد السلطان محمد الرابع (1058–1099هـ)، والسلطان سليمان الثاني (1099– 1102هـ).

مؤلفاته: رشحة النصيح من الحديث الصحيح، والترتيب الجميل في شرح التركيب الجليل للتفتازاني في النحو، حاشية على جزء النبأ من أنوار التنزيل للبيضاوي.

توفي سنة (1114هـ) في إستانبول، ودفن في المدرسة القريبة من جامع السلطان سليم[12].

المطلب الثالث: مقارنة بين الكتابين

* حجم العمل: النصيحة الكافية طبع في (163 صفحة) بينما رشحة النصيح يقع في نحو (150) ورقة مخطوط، فالثاني أضعاف حجم الأول.

والسبب في ذلك أن الشيخ أحمد زروق يميل إلى الاختصار، ويشهد لذلك

12 البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، 1951م)، 6/ 307، البغدادي إسماعيل بن محمد أمين، إيضاح المكنون، (مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، 1951م)، 3/ 573، الزركلي، الأعلام 7/ 79، كحالة، عمر رضا معجم المؤلفين (مكتبة المثنى، بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت، دون طبعة، دون تاريخ)، 11/ 312.

عادته في مصنفاته، فهو يميل إلى الإيجاز، والاكتفاء بالإشارة عن العبارة، كقوله: (ثم الكذبُ على العلماء في نقل حكم، أو ما يقتضيه، وإنْ وافق الحقَّ؛ لأن للوارث من الحرمة ما للموروث في باب ما ورث عنه)[13].

ففي سياق الحديث عن الكذب على رسول الله، في المحارم اللسانية، عطف عليه الكذب على العلماء في تقويلهم ما لم يقولوه، من فتوى ونحوها من مسائل ألقَوها في مجالس التعليم، وذكر ما وافق منها الحق واكتفى به عن ذكر ما خالف الحق؛ لأنه كذب محض وافتراء عظيم، ثم قرر أن حرمة العلماء الوارثين تابعة لحرمة النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والتبليغ، ويمكن بسط هذا الكلام بأطول من هذا إلا أنه آثر الإيجاز.

أما الشيخ محمد دباغ زاده فظهر لي ميله إلى الإطناب من خلال وضع خطة موسعة للكتاب، والاستكثار من الشواهد على قضية واحدة ولو كان المطلوب فيها شائعًا مشهوراً، فمن ذلك استشهاده على فضيلة التقوى بـ(146) آية سردها سرداً دون معرفة الغاية من هذا الاستيعاب.

* غرض التأليف:

ذكر شيخ الإسلام دباغ زاده في مقدمة رشحة النصيح بعد الكلام عن النصيحة وأهميتها في الشريعة والحياة سبب التأليف فقال: (فلهذا أردتُ شرحَ النَّصيحة

13 زرُّوق، أحمد، النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، (تحقيق قيس آل الشيخ مبارك، مكتبة الظلال، الأحساء، ط: 1، 1993م)، (ص46).

بجمع الأخبار الصحيحة، والآثار والحِكَم الفصيحة، من الكتب المعتبرة المشهورة، والأقوال المرغوبة المنصورة).

ولم يذكر الشيخ أحمد زروق الغرض من التأليف، بل إنه تكلم عن النصيحة وفضلها، وشرع في شرح وبيان مفردات حديث «الدين النصيحة».

ومن النظر والتأمل في صنيعهما وجدت أن منهج الشيخ أحمد زروق يكثر فيه التذكير والموعظة، وحث المكلفين على العمل الصالح طبق الضوابط الشرعية، وهو محقق في الذوقيات، متعمق في حقائق النفس، خبير بأمراض القلوب، فيبدو أن غرضه في التأليف هو إيقاظ همم أهل زمانه للتمسك بأهداب الشريعة بين أوامر ونواهٍ.

وشيخ الإسلام دباغ زاده كان من غرضه نصيحة السلاطين، ويدل لذلك تطويله الفصل المختصَّ بذلك إلى نحو ثلث الكتاب من ثمانية فصول، أكثر فيها النقل عن الفقهاء وكتب السياسة الشرعية.

* أهم المقاصد في الشرح:

خطة النصيحة الكافية تحوي مقدمة، وخمسة أبواب، في كل باب ثلاثة فصول:

الباب الأول: النصيحة لله، الفصل الأول اتباع الأوامر، الفصل الثاني نصرة الدين، الفصل الثالث التسليم في الحكم.

الباب الثاني: النصيحة لرسوله، الفصل الأول اتباع سنته، الفصل الثاني إكرام قرابته صلى الله عليه وسلم، الفصل الثالث الشفقة على أمته.

الباب الثالث: النصيحة لكتابه، الفصل الأول تدبر آياته، الفصل الثاني العمل

بمأموراته، الفصل الثالث تحسين تلاوته.

الباب الرابع: النصيحة لعامة المسلمين، الفصل الأول الذب عن أعراضهم، الفصل الثاني إقامة حرمتهم، الفصل الثالث النصرة لهم.

الباب الخامس: النصيحة لخاصة المسلمين، الفصل الأول الطاعة للأمراء، الفصل الثاني التصديق للعلماء، الفصل الثالث التسليم للفقراء.

أما رشحة النصيح فكانت خطته كالتالي:

مقدمة وخمسة مقاصد.

المقصد الأول: في النصيحة لله، وفيه مقدمة في تفسير الدين وخمسة أبواب، الباب الأول في شرح النصيحة لله في بيان أنْ ترجعَ إلى الإيمان به، الباب الثاني في بيان نفي الشرك عنه، الباب الثالث في بيان القيام بطاعته، واجتناب معصيته، الباب الرابع في الاعتراف بنعمة الله تعالى وشكره، الباب الخامس في الإخلاص في جميع الأمور.

المقصد الثاني: في النصيحة لكتابه، وفيه خمسة أبواب، الباب الأول في الإيمان بأنه كلام الله تعالى لا يشبهه شيء من كلام الخلق، الباب الثاني في تعظيم القرآن، الباب الثالث في المحكم والمتشابه، الباب الرابع في البحث عن الناسخ والمنسوخ، الباب الخامس في البحث عن عمومه وخصوصه وسائر وجوهه وفنون علومه.

المقصد الثالث في النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وفيه خمسة أبواب، الباب الأول في تصديقه فيما أتى به ووجوب الإيمان به، الباب الثاني في

وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم في أوامره ونواهيه، الباب الثالث في إعظام حقه وإحياء سنته، الباب الرابع في محبته صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين، الباب الخامس في محبة أهل بيته وأصحابه صلى الله عليه وسلم.

المقصد الرابع في النصيحة للأئمة، واتخذ مسلكين في تفسير (الأئمة):

المسلك الأول الأئمة هم الأمراء. وفيه ثمانية أبواب، الباب الأول في معاونتهم على الحق، الباب الثاني في طاعتهم في الحق، الباب الثالث في تذكيرهم برفق، الباب الرابع في ترك الخروج عليهم، الباب الخامس في دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، الباب السادس في الصلاة خلفهم والاقتداء بهم، الباب السابع في الجهاد معهم، الباب الثامن في أداء الصدقات إليهم.

المسلك الثاني الأئمة هم علماء الدين، وفيه بابان، الباب الأول في قبول ما رووه، الباب الثاني في بيان تقليدهم في الأحكام مع إحسان الظن بهم.

المقصد الخامس: في نصيحة العامة، وهو على خمسة أبواب، الباب الأول في إرشادهم لمصالحهم في أولاهم وأخراهم، الباب الثاني في كف الأذى عنهم، الباب الثالث في تعليم ما جهلوا وفيه تعداد حقوق الأخوة، الباب الرابع في بيان إعانتهم على البر والتقوى، الباب الخامس في الشفقة عليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير.

* النمط العام للشرح (الوجدان أو العقل):

يغلب على النصيحة الكافية الأسلوب الوجداني يخاطب فيه القلب، ويحرك

المشاعر لتحفيز الهمم إلى الجهاد والعمل الصالح. ففي أثناء بيان الأحكام الفقهية للطهارات مثلاً يتحدث عن دواء الوسوسة، ويعدِّد ما يورث النسيان، وينقل عن بعض العلماء أن (الحضور في الصلاة بقدر الحضور في الوضوء)، وهذه فوائد جليلة لم نعهد الفقهاء يذكرونها بهذه الكثرة في مصنفاتهم.

أما رشحة النصيح فيجمع بين الرقائق التي نقل كثيراً منها عن إحياء علوم الدين للغزالي، والطريقة المحمدية للبركوي، والمسائل العلمية في الفقه والسياسة الشرعية المنقولة من كتاب الهداية للمرغيناني وعدد من كتب الفتاوى، والعقيدة كالسنوسية والنسفية، والتفسير كالفخر الرازي والبيضاوي، فهو يخاطب العقل والقلب معـًا.

خاتمة:

السنة المطهرة كنز تشريعي ولغوي وإنساني، ينبغي على المعتنين بها بذل الجهود لاستخراج الفوائد منها، ورفد المعرفة الإنسانية بالمزيد من المعارف المقتبسة منها.

ومن نتائج البحث أني وجدت بالاستقراء أن العلماء لم يألوا جهداً في خدمة السنة المطهرة، وخصوصـًا شرح الحديث الواحد من جوامع الكلم بتصنيف مفرد.

إن للأحاديث الملقبة بجوامع الكلم أهمية عظيمة في علوم الشريعة، فهي بما انطوت عليه من خصائص في البيان والإيجاز لا تزال ترفد المعارف الإنسانية بالفوائد، ويستنبط منها الأحكام قرنـًا بعد قرن بحسب اختلاف الأعراف

وأحوال الناس إلى قيام الساعة.

ورأيت من خلال مطالعة الكتابين اهتمام الشيخ أحمد زروق ببيان أحكام الحلال والحرام، والخلل فيها، والتماس الحلول لها من الشريعة والمجرَّبات، وتوسعه في ذكر أمراض القلوب، وآفات الجوارح والحواس، وتلمُّس الدواء والوقاية منها.

أما شيخ الإسلام محمد دباغ زاده فقد توسع في الاستدلال على مقاصد النصيحة من الكتاب والسنة وأقوال الرجال، وبسط القول في السياسة الشرعية مكثراً من النقول عن أهل الاختصاص في كل باب من العقيدة والفقه والفتوى والرقائق.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت لعرض تعريف بكتابين نافعين في معنى حديث الدين النصيحة، وأحيل القارئ والمعتني إلى هذين السفرين الجليلين لينهل من فوائدهما، وأرجو أن يكون هذا العمل دافعاً للعمل بمقتضى الكتاب الكريم والسنة المطهرة، واتباع منهج العلماء العاملين، والمربِّين الربانيين.والله تعالى من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المصادر والمراجع

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني المتوفى (952هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

ابن خير، محمد اللمتوني الإشبيلي المتوفى (575هـ)، فهرسة ابن خير، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي المتوفى (851هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل المتوفى (256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين المتوفى (1399هـ)، إيضاح المكنون،

مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، 1951م.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين المتوفى (1399هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، 1951م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي المتوفى (279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

التكروري، أحمد بابا بن أحمد السوداني المتوفى (1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية: الدكتور عبد الحميد الهَرَّامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله المتوفى (1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

الخطَّابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد المتوفى (388هـ)، أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، مكة المكرمة: مركز البحوث العلمية بجامعة أم القرى، 1409هـ/ 1988م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت المتوفى (463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1982م.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى (255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: نبيل الغمري، دار البشائر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1434هـ – 2013م.

الرُّوداني السوسي، شمس الدين محمد بن محمد المتوفى (1094هـ)، صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد المتوفى (1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: 15، 2002 م.

زرُّوق، الشيخ أحمد المتوفى (899هـ)، النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، تحقيق قيس آل الشيخ مبارك، مكتبة الظلال، الأحساء، الطبعة: الأولى، 1993م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى (902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

سزكين، د. فؤاد، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411 هـ - 1991م.

الشَّوكاني، محمد بن علي بن محمد المتوفى (1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفى (360هـ)، المعجم الكبير تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.

قره بلوط، علي الرضا، معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، قيصري، تركيا، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.

الكتاني، محمد عبد الحي الحسني الإدريسي المتوفى (1382هـ)، فهرس

الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: 2، 1982م.

كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

مخلوف، محمد بن محمد المتوفى (1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ – 2003م.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى (261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي المتوفى (303هـ)، سنن النسائي، إعداد: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، 1406هـ – 1986م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)